المملكة العربية السعودية

DEANSHIP OF
LIBRARY AFFAIRS

جامعة الملك سعود

عمادة شؤون المكتبات

Kingdom of Saudi Arabia
King Saud University
Riyadh, 11495 P.O.Box 22480

No. ... . الرقم.

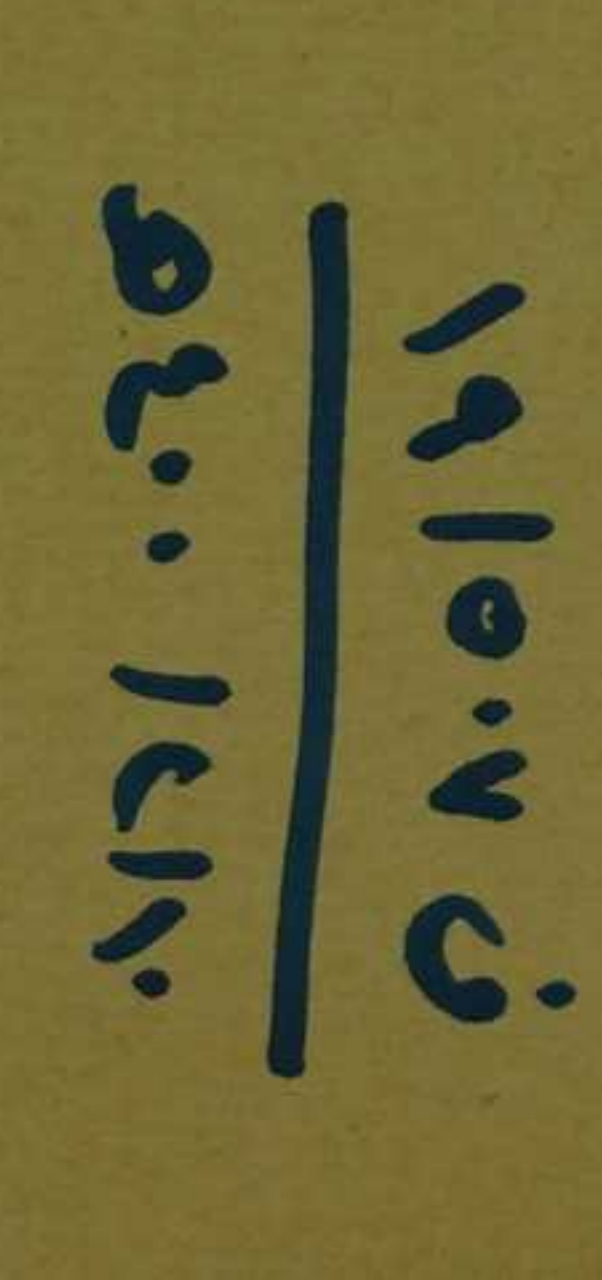

٦ر٢١٦
ر (رسالةفي القضاء ،قطعة منها) . كتبت في القرن
الثالث عشرالهجرى تقديرا .
١١ق مسطرتها مختلفة ١٨×٥ر٢٥سم
٣٤٢٠ نسخةبها نقص في الأول والآخروالاثناء ،خطها
نسـخ معتاد .
١ـ المخاصمات ،فقهاسلامى أ ـ تاريخ النسخ .

بالاشتغال بما يشتغل به مشايخ تلك الارض هذه بما هو اقربها شأنا ولا منتهيا
الا ما هو النهاية للمشتغلين بذلك الفن وذلك العطر فاعرف هذا **واعلم** انما
اسميه ههنا انما هو باعتبار ما يشتغل به الناس في الديار اليمنية فمن كان في
غيرها فليأخذ عن شيوخها في كل فن مقدار ربع فوق ما اذكره ههنا **واعلم** انه لا
ينبغي طالب العلم المتصور المتبحر في علم الشريعة العازم على ان يكون من اهل
الطبقة الاولى عن تقان ما شمل عليه شرح الرضي على الكافية من المباحث
اللطيفة والفوائد الشريفة وكذلك ما في مغني اللبيب من المسايل الغريبة فلكون
اشتغاله بسماع شروح المختصرات بعد ان تكون هذه المختصرات محفوظة
له حفظا جليا عن ظهر قلبه ويبدي من طرف لسانه **واقل الاحوال** ان يحفظ
مختصرا منها هو اكثرها مسايل وانفعها فوايد **ولا يفوته النظر** في مثل الا
الفية لابن مالك وشروحها والتسهيل وشروحه والمفصل للزمخشري والكتاب
لسيبويه فانه يجد في هذه الكتب من لطايف المسايل النحوية ودقايق المباحث
العربية ما لم يكن قد وجده في تلك **وينبغي للطالب** المذكور ان يطلع على مختصر
من مختصرات المنطق ويحفظه عن شيوخه ويفهم معانيه بعد ان يفهم النحو بفهم
ما يبتدي به من كتبه ليستعين بذلك على فهم ما يورده المصنفون في مطولات كتب
النحو ومتوسطاتها من المباحث النحوية ويكفيه ذلك مثل المختصر المعروف
بالسلم او تهذيب السعد وشروحه من شروحها وسيأتي بيان ما ينبغي
الاشتغال به من فن المنطق ان شاء الله وليس المراد هنا الا الاستعانة بمعرفة
مباحث التصورات والتصديقات اجمالا لئلا يعثر على مبحث من مباحث العلوم العربية
من نحو او صرف او بيان قد سلك فيه صاحب الكتاب مسلكا على النمط الذي
سلكه اهل المنطق فلا يفهمه كما يقع كثيرا في الحدود والرسوم فان اهل العربية
يتكلمون في ذلك بكلام المناطقة فاذا كان الطالب عاطلا عن علم المنطق
بالمرة لم يفهم تلك المباحث كما ينبغي **ثم بعد** ثبوت الملكة في النحو وان لم
يكن قد فرغ من سماع ما سميناه شرع في الاشتغال **بعلم الصرف** كما
الشافية وشروحها والزنجانية ولاميه الافعال ولا يكون **عالما** بعلم
الصرف كما ينبغي الا بعد ان تكون الشافية من محفوظاته لانتشار مسايل
فن الصرف وطول دليل قواعده وتشعب ابوابه **ولا يفوته الاشتغال**
بشرح الرضي على الشافية لعبد ان يشتغل بما هو اخصر منه كشرح الجاربردي
ولطف الله الغياث فان فيه من الفوايد الصرفية ما لا يوجد في غيره

ل

ثم ينبغي له بعد ثبوت الملكة لنحو او صرف وان لم يكن قد فرغ من سماع
كتب الفنين ان يشرع في علم المعاني والبيان فيتدئ بحفظ مختصر من مختصرات
الفن يشتمل على مهمات مسائله كالتلخيص وشرح السعد المختصر وما عليه
من الحواشي وشرحه المطول وحواشيه فانه اذا حفظ هذا المختصر وحقق
الشرحين المذكورين وحواشيها بلغ الامكان من الفن مكين فقد احاط
هذه الجملة بما في مؤلفات الجرجاني او السكاكي في هذا الفن فلم تعن النظر فيه
فانه يقف في تلك المؤلفات على فوائد وينبغي له حال الاشتغال بهذا الفن
ان يشتغل بفنون مختصرة قريبة المأخذ قليلة المباحث كفن الوضع وفن
المناظرة ويكفيه رسالة الوضع وشرح من شروحها وفي الثاني ادب البحث
العضدية وشرح من شروحها وقد تشعبت مسائل علم المناظرة في الازمنة
الاخيرة فوصل رجل من الاكراد من طلبة العلم ومعه رسالة وشرحها
تذكرانها لبعض علماء الهند ولم يعرف اسمه وفيها من الفوائد والتفاصيل
ما لا يوجد في الآداب العضدية وشروحها الا ما هو بالنسبة اليه كالرموز
وقد تقلها الناس عنه وانتشرت بين علماء صنعا وهي في نحو ثلاثة كراريس
مشتملة على مقدمة وتسعة مباحث ولا يستغني طالب هذا الفن عن امعان
النظر فيها وقد اشتغلت بهذه الرسالة وقابلتها معه على نسختين ولم
يكن لي من الفهم والاستعداد ما يبلغ به الى ان اوخذ عنه هذه الرسالة
وشرحها رواية ولا دراية مع كونه كان من اهل الصلاح والاكباب على الطلب
والرغبة في الله لعلم وكما تشعبت مباحث علم المناظرة فقد تشعبت
ايضا عند المتاخرين مباحث علم البديع فان الموجود في كتب المتقدمين
من انواعه اللفظية والمعنوية دون اربعين نوعا وعند اهل البديع اليوم
زيادة على مائة وخمسين نوع واخبرني الشيخ عبد الرحمن بن احمد الرئيس من
علماء الحرم المكي عند وفوده الى صنعا انه قد انهاها بعض المتاخرين الى
سبع مائة نوع وانه وقف على رسالة او منظومة اشكل عليّ بعض المتاخرين
تشتمل على ذلك وانا بحمد الله قد استخرجت انواعا من البديع وذكرت
لها اسما خارجة عن الاسماء التي ذكرها اهل هذا العلم وذكرت ابياتا
اشتملت على ذلك ثم ينبغي له ان يكب على مؤلفات اللغة المشتملة على
بيان مفرداتها كالصحاح والقاموس وشمس العلوم وضياء الحلوم
وديوان الادب ونحو ذلك من المؤلفات المشتملة على بيان اللغة العربية
عموما وخصوصا كالمؤلفات المختصة بغريب القرآن والحديث ثم يشتغل

بعد

بعد هذا بعلم المنطق فيحفظ مختصرا من مختصراته كالتهذيب او الشمسية
ثم يجد في سماع شروحها على اهل الفن فان العلم بهذا الفن على الوجه الذي ينبغي
يستفيد به الطالب مزيد ادراك وكما استعد اذعن ورود الحجج العقلية
عليه واقل الاحوال ان يكون على بصيرة عند وقوفه على المباحث التي يوردها
المؤلفون في علوم الاجتهاد من المباحث المنطقية كما يفعله كثير من المؤلفين
في الاصول والبيان والنحو ثم يشتغل بفن اصول الفقه بعد ان يحفظ مختصرا
من مختصراته المشتملة على مهمات مسائله كمختصر المنتهى او جمع الجوامع او الغاية
ثم يشتغل بسماع شروح هذه المختصرات كشرح العضد على المختصر وشرح
المحلي على جمع الجوامع وشرح بن الاماهم على الغاية وينبغي له ان يطول الباع
في هذا الفن ويطلع على مؤلفات اهل المذاهب المختلفة كالتنقيح والتوضيح
والتلويح والمنار وتحرير بن الهمام وليس في هذه المؤلفات مثل التحرير
المذكور وشرحه ومن النفع ما يستعان به على بلوغ درجة التحقيق في هذا
الفن الاكباب على الحواشي التي الفها المحققون على الشرح العضدي وعلى
شرح الجمع ثم ينبغي له بعد اتقان فن اصول الفقه وان لم يكن قد فرغ من سماع
مطولاته ان يشتغل بفن الكلام المسمى باصول الدين وجعل من مؤلفات الاشعرية
نصب ومن مؤلفات المعتزلة نصب ومن مؤلفات الماتريدية
نصب ومن مؤلفات المتوسطين بين هذه الفرق كالزيدية بنصب فانه اذا
فعل هكذا عرف الاعتقادات كما ينبغي والصق كل فرقة بالحق او الاحق
التعريج على بصيرة وقابل كل قول بالقبول او الرد على حقيقة ومن احسن
مؤلفات المعتزلة المجتبى ومن احسن مؤلفات متاخري الاشعرية المواقف
العضدية وشرحها للشريف والمقاصد السعدية وشرحها واياك ان
يثنيك عن الاشتغال بهذا الفن ما تسمعه من كلمات بعض اهل العلم في التنفير
عنه والتزهيد فيه والتعليل لفائدته فانك اذا عملت على ذلك وقبلت
ما يقال في الفن قبل معرفته كنت مقلدا فيما لا تدري ما هو وذلك لا يليق
بما تطلبه من المرتبة العلية وتكون في الطبقة الاولية بل اعرفه حق
معرفته وانت بعد ذلك معوض فيما تقوله من مدح او قدح فانه لا يقال
لك حينئذ انت تمدح ما لا تعرفه او تقدح فيما لا تدري ما هو على انه متعلق
بذلك فائدة وزيادة بصيرة في علوم اخر كعلم التفسير وعلم تفسير الحديث
فانك اذا بلغت الى ذلك علمت ما في العلم بهذا الفن من الفائدة لا سيما عند

قد اتى كشاف الزمخشري ومن سلك مسلكه فان في مباحثهم من الدقيقات الراجعة
الى علم الكلام ما لا يفهم حق الفهم الا من عرف الفن واطلع على المعتزلة والاشعرية
وسائر الفرق **واني اقول** بعد هذا انه لا ينبغي لعالم ان يدين بغير ما دان
به السلف الصالح من الصحابة والتابعين وما بعيهم من الوقوف على ما تقتضيه الا
ادلة الاكتساب والسنة وامرار الصفات كما جائت ورد علم المتشابه الى الله سبحانه
وعدم الاعتداد بشيء من تلك القواعد المدونة في هذا العلم المبنية على شفا
جرف هار من ادلة العقل التي لا تعقل ولا تثبت الا بمجرد الدعاوى والافتراء
على العقل بما يطابق الهوى ولا سيما اذا كانت مخالفة لادلة الشرع الثابتة
في الكتاب والسنة فانها حينئذ حديث خرافة ولعبة لاعب فلا سبيل للعباد
يتوصلون به الى معرفة ما يتعلق بالرب سبحانه وبالوعد والوعيد والجنة
والنار والمبدا والمعاد الا ما جائت به الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم
عن الله سبحانه وليس للعقول وصول الى تلك الامور ولا مدرع لذلك فقد كلف العقول
ما اراحها الله منه ولم يتعبدها به بل غاية ما تدركه وجل ما تتوصل اليه هو ثبوت
الخالق الباري وان هذه المصنوعات لها صانع وهذه الموجودات لها
موجد وما عدا ذلك من التفاصيل التي جائتنا في كتب الله عز وجل وعلى السن
رسله فلا تستفاد من العقل بل من ذلك النقل الذي منه جائت والينابيع و
صلت **واعلم** ان عند الاشتغال بعلم الكلام وممارسة تلك المذاهب
والنحل لم ازد بها الا حيرة ولا استفدت منها الا العلم بان تلك المقالات خزعبلات
فقلت اذ ذاك مشيرا الى ما استفدته من هذا العلم ثم وغاية ما حصلته
من مباحثي ثم ومن تنظري بعد طول التدبر ثم هو الوقوف ما بين الطريقين
حيرا ثم فما علم من لم يلق غير التحيري ثم على اني قد خضت من غمارة ثم
ثم وما قنعت نفسي بدون التحري ثم وعند ذلك رميت بتلك القواعد من حالق
وطرحتها خلف الحائط ورجعت الى الطريقة المرضية المرتضاة بادلة الكتاب والسنة
المعمودة بالاعتماد التي هي اوثق ما يعتمد عليه عباد الله وهم الصحابة ومن
جاء بعدهم من علماء الامة المقتدين بهم السالكين مسالكهم فطاحت الحيرة
وانجابت الظلمة العمياء وانقشعت سحائب الجهالة وانكشفت ستور
الغواية ولله الحمد على اني ولله الشكر لم اشتغل بهذا الفن الا بعد رسوخ
القدم في ادلة الكتاب والسنة **فلئن اذا** عرضت مسالة من مسائله
مبنية على غير اساس رجعت الى ما يدفعها من علم الشرع ويدمغ زبدها
من انوار الكتاب والسنة ولكني كنت اقدر في نفسي انه لو لم يكن لدي الا
تلك القواعد والمقالات فلا اخذ حينئذ الا حيرة ولا امشي الا في ظلمة ثم اذا
ضربت بها وجه قائلها ودخلت الى تلك المسائل من الباب الذي امر الله
بالدخول

بالدخول منه كنت حينئذ في راحة من تلك الحيرة وفي دعة من تلك الخزعبلات
والحمد لله رب العالمين عدد ما حمده الحامدون وكل لسان في كل زمان **ثم بعد احراز**
هذا العلم يشتغل بعلم التفسير فيأخذ عن الشيوخ ما يحتاج منه الى الاخذ كالكشاف
ويكب على كتب التفسير على اختلاف انواعها وتباعد ما بين مقاديرها **ويعتمد في**
تفسير كلام الله سبحانه ما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة فانهم مع كونهم
اعلم من غيرهم بمقاصد الشارع هم ايضا من اهل اللسان العربي فما وجدوه من تفاسير
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكتب المعتبرة كالامهات وما يلتحق بها قدمه على غيره كائنا ما كان
يتعين عليه الاخذ به ولا يحل له مخالفته **واجمع مؤلف في ذلك** وانفعه واكثره
فوائد **الدر المنثور** للسيوطي وما ذكرناه من تقديم ما ورد عن الصحابة **مقيد**
بما اذا لم يخالف ما يعلم من لغة العرب ولم تكن تلك المخالفة لاحد معنى
شرعي فان كانت لمعنى شرعي فقد تقرر ان الحقائق الشرعية مقدمة على
اللغوية وينبغي له ان يطول الباع في هذا العلم ويطالع مطولات التفاسير
كمفاتيح الغيب للرازي فان المعاني الما خوذة من كتاب الله سبحانه كثيرة
العدد يستخرج منها كل عالم بحسب استعداده وقد ملكته في العلوم ولا يغتر
بما يزعمه بعض اهل العلم من انه يكفي الاطلاع على تفسير بعض ايات الكتاب
العزيز كما وقع للكثير من التاليف في تفسير ايات مخصوصة مسميا لها ايات
الاحكام كالموزعي وصاحب الثمرات فان القرآن جميعه حتى قصصه وامثاله
لا يخلو عن فوائد متعلقة بالاحكام الشرعية ولطائف لا ياتي الحصر عليها
لها مدخل في الدين يعرف هذا من يعرفه ويجهله من يجهله **وينبغي ان يقدم**
على قراءة التفسير الاطلاع على علوم الاداة وكل ما كان لم مدخل في التلاوة
وسائر العلوم المتعلقة بالكتاب والسنة لان هذه الحيثية **وما انفع الا**
تقان للسيوطي في مثل هذه الامور ثم لا يهمل النظر في الكتب المدونة في
القرآن وما يتعلق بها كالشاطبية وشروحها والطيبة وشروحها
اذا عرفت ما ينبغي لمن اراد ان يكون من اهل الطبقة الاولى **فاعلم** ان
اعظم العلوم فائدة واكثرها نفعا واوسعها قدرا واجلها خطرا
علم السنة المطهرة فانه الذي تكفل ببيان الكتاب العزيز ثم
استقل بما لا ينحصر من الاحكام **ولست** اقول ان الطالب يشتغل به في
وقت معين ولا اقول انه يقدمه على هذه العلوم المتقدمة او يؤخر عنها
بل اقول انه ينبغي لطالب العلم بعد ان يقيم لسانه بما يحتاج اليه من النحو
ان يقبل على سماع الكتب التي جمع فيها اهل العلم متون الاحاديث

مقطوعه الاسانيد كجامع الاصول والمشارق وكنز العمال والمنتقى لابن
تيمية وبلوغ المرام لابن حجر والعدة ثم يسمع الكتب التي فيها الاسانيد
كالامهات الست ومسند احمد وابن حبان وابن الجارود وسنن الدارقطني
والبيهقي وبالجملة فما بلغت اليه قدرته ووجد في اهل عصره شيوخه من
كتب السنة حد في سماعه واجتهد بحسب ما يمكنه ويكون هذا الاشتغال
بهذا العلم الجليل مصاحبا لاشتغاله بجميع العلوم المتقدمة من البدا
به الى النهاية فاذا فاظ وطرة من سماع كتب المتن والاسناد اشتغل
بشروح هذه المؤلفات فيسمع منها ما تيسر له سماعه ويطالع ما لم
يتيسر له سماعه وليستكثر من النظر في المؤلفات في علم الجرح والتعد
يل بل يتوسع في هذا العلم بكل ممكن والنفع ما ينتفع به مثل الثقات
وتاريخ الاسلام وتذكرة الحفاظ والميزان فانه يجد في هذه المؤلفا
من الاختلاف في المترجم له وذكر اسباب الجرح والتعديل ما لا يجد في غيرها
كتهذيب الكمال وفروعه وهذا بعد ان يشتغل بشيء من علم اصطلاح
اهل الحديث كمؤلفات ابن الصلاح والالفيه للعراقي وشروحها ولا يستغني
عن المطولات بالمختصرات لسيما اذا بالغ مؤلفوها في الاختصار كالنخبة
وما هو مشابه لها وينبغي له ان يشتغل بطالعة الكتب المصنفة في
تاريخ الدول وحوادث العالم في كل سنة كما فعله الطبري في تاريخه وابن
الاثير في كامله وكما فعله كثير من المؤرخين على اختلاف مسالكهم في
تخصيص التصنيف بدولة من الدول او طائفة من طوائف اهل العلم والا
دب او فرقة من فرق اهل الرياسات او غير ذلك فان فان للاطلاع
على ذلك فائدة جليلة لا يعرفها الا من عرف احوال العالم واتقن
اهل كل عصر منهم وعلم باوهوفات مولدهم ووفاتهم واذا احاط
الطالب بما ذكرناه من العلوم فقد صار حينئذ في الطبقة العلية من
طبقات المجتهدين وكملت له جميع انواع علوم الدين وصار قادرا على
استخراج الاحكام من الادلة متى شاء وكيف شاء ولكنه ينبغي له ان
يطلع على علوم الحزة ليكمل له من قد حازه من الشرف ويتم له ما قد ظفر به
من بلوغ الغاية فمن ذلك علم الفقه واقل الاحوال ان يعرف مختصرا في كل فقه
مذهب من المذاهب المشهورة فان معرفة ما يذهب اليه اهل المذاهب
الاسلامية قد يحتاجه المجتهد لافادة المتمذهبين السائلين عن مذاهب
ائمتهم وقد لا يدفع من يشنع عليه في اجتهاده كما يقع ذلك كثيرا من اهل
التعصب

التعصب والتقصير فانه اذا قال له قد قال بهذه المقالة العالم الفلاني
او عمل عليها اهل المذهب الفلاني كان ذلك دافعا لصولته كاسرا لسورته
وقد وقعنا في كثير من هذه الامور مع المقصرين ونخلصنا من
من شغبهم بحكاية ما انكروه علينا عن بعض من يعتقدونه من الاموات
وما النفع الاطلاع على المؤلفات البسيطة في حكاية مذاهب السلف
واهل المذاهب وحكاية ادلتهم ومادار بين المتناظرين منهم اما تحقيقا
او فرضا كمؤلفات ابن المنذر وابن قدامة وابن حزم وابن تيمية ومن سلك
مسالكهم فان المجتهد يزداد بذلك علما الى علمه وبصيرة الى بصيرته وقوة
في الاستدلال الى قوته فان تلك المؤلفات هي مطارح انظار المحققين
ومطامح افكار المجتهدين وكثيرا ما يحصل للعالم من النكت واللطائف الصالحة
للاستدلال بها ما لا يحصل للعالم الاخر وان تقاربت معارفهما وتوازنت علو
مهما بل قد يتيسر لمن هو اقل علما ما لا يتيسر لمن هو اكثر علما من الاستدلال
والجواب والنقض والمعارضة وكما قيل ورايان احزم من واحد وراي
الملائة لا ينقض ولكن بعد تاخذ الافهام منه على قدر القرايح والعلوم
ولا سيما مؤلفات اهل الانصاف الذين لا يتعصبون لمذهب من المذاهب ولا
يقصدون الا تقرير الحق وتبيين الصواب فان المجتهد الطالب للحق ينتفع
بها ويستعين باهلها فينظر فيما قد حرروه من الادلة وقرروه من المباحث
ويعمل فكره في ذلك فياخذ ما يرتضيه ويزيد عليه ما ملعنه اليه قدرته
ووصلت اليه ملكته غير تارك للبحث عن تصحيح ما قد صححوه وتضعيف ما قد
ضعفوه على الوجه المعتبر ومن حق الانصاف ولازم الاجتهاد ان لا يحسن
الظن او يسيئه بفرد من افراد اهل العلم على وجه يوجب قبول ما جاء به او رده
من غير اعمال فكر وامعان نظر وكشف وبحث فان هذا صنيع المقلدين و
صنيع المتعصبين وان غرته نفسه بانه من المنصفين وان لا يعتد بالكثرة
فان المجتهد هو الذي لا ينظر الى من قال بل الى ما قال فان وجد نفسه
تنازعه الى الدخول في قول الاكثرين والخروج عن قول الاقلين او الى متابعة
من له جلالة قدر او نباهة ذكر وسعة دايرة علم لا لامر سوى ذلك فليعلم
انه قد بقي فيه عرق من عروق التعصب وشعبة من شعب التقليد وانه
لم يوف الاجتهاد حقه وبالجملة على التحقيق هو من ياخذ الادلة الشرعية
من مواطنها على الوجه الذي قدمنا وليفرض نفسه موجودا في زمن النبوة
وعند نزول الوحي وان كان في اخر الزمان وكانه لم يسبقه عالم ولا بقدمه مجتهد

بيان قبول

مطلب

فان الخطابات الشرعية تتناولنا وتلك الصحابة من غير فرق
وحينئذ يهون الخطب وتذهب الروعة التي نزلت بقلبه من الجمهور
وتزول الهيبة التي تداخل قلوب المقصرين ومما يزيد من ارتفاع
الطبقة العلية علو وفيدة قوة ادراك وصحة فهم وسيلان ذهن
الاطلاع على اشعار فحول الشعري ومجيديهم والمشهورين منهم
باستخراج لطايف المعاني ومطربات النكات مع ما يحصل له بذلك
من الاقتدار على النظم والتصرف في فنونه فقد يحتاج العالم الى نظم
لجواب ما يرد عليه من الاسئلة المنظومة او المطارحات الواردة اليه
من اهل العلم وربما ينظم في فن لغرض من الاغراض الصحيحة فان من
كان بهذه المنزلة الرفيعة من العلم اذا كان لا يقتدر على النظم كان
ذلك لخشية في وجهه بحاسنه ولفظا في كماله وهكذا الاستكثار من
النظر في بلاغات اهل الانشا المشهورين بالاجادة والاحسان المتصرفين
في رسالاتهم ومكاتباتهم بافصح لسان وابين بيان فانه ينتفع بذلك
الى الاحتياج الى انشا او جواب صدقا او كاتب حبرا لانه ينبغي ان يكون
كلامه على قدر علمه وهو اذا لم يمارس جيد النظم والنثر كان كلامه ساقطا
عن درجة الاعتبار عند اهل البلاغة والعلم شجرة ثمرتها الالفاظ
وما افتتح بالعالم المتجر في كل فن ان يتلاعب به في النظم والنثر من لا يجاريه
في علم من علومه ويتضاحك منه من له ادنى الماء يستحسن الكلام و
رائق النظام ويستعين على بلوغ ما يليق به ويطابق ريتبه بمثل
علم العروض والقوافي وانفع ما في ذلك منظومة الحرازي وشرحها
وبمثل الموعة الفاء المدونة لابن لك وانفع ما ينتفع به المثل السائر في
ادب الكاتب والشاعر لابن الاثير ثم لا باس على من رشح قدمه في
العلوم الشرعية ان يأخذ بطرف من فنون هي من اعظم ما يصقل الا
فكار ويصفي القرايح ويزيد القلب سرورا والنفس انشراحا كالعلم
الرياضي والطبيعي والهندسة والهيئة والطب وبالجملة فالعلم
بكل فن حضر من الجهل به بكثير ولا سيما من رشح نفسه للطبقة العلية
والمنزلة الرفيعة ودع عنك ما شنعه من التشنعات فانها كما
قدمنا لك شعبة من التقليد وانت بعد العلم باي علم من العلوم حاكم
عليه عالما بكل من العلم غير محكوم عليك واحتر لنفسك ما يحلو
وليس يخشى على من قد ثبت قدمه في علم الشرع من شيء وانما يخشى
على من كان غير ثابت القدم في علوم الكتاب والسنة فانه ربما يتزلزل
ويحور قوته

هذا القول لا يسلم له بل فيه نظر لان النبي صلى الله عليه وسلم لم ينظم الشعر

فاذا قدمت العلم بما قدمنا لك من العلوم الشرعية فاشتغل بما شئت واستكثر
من الفنون ما اردت وتبحر في الدقايق ما استطعت وجواب من خالف ذلك وعذل
وشنع عليك بقول القايل انا نا ان سهلا ذم جهلا علوما ليس يعرفهن سهل
علوما لو دراها ما قلاها ولكن الرضى بالجهل سهل وانى لا عجب ممن جهل
يدعي الانصاف والمحبة للعلم ويجري على لسانه الطعن في علم من العلوم لا يدري ولا يعرفه
ولا يعرف موضوعه ولا غايته ولا فايدته ولا يتصوره بوجه من الوجوه وقد
رأينا كثيرا ممن عاصرنا ورأيناه يشتغل بالعلم ويتصف في مسايل الشرع ويقتدي
بالدليل فاذا سمع مسئلة من فن من الفنون التي لا يعرفها كالعلم للمنطق والكلام
والهيئة ونحو ذلك نفر منه طبعه ونفر منه غيره ولا يدري ما تلك المسئلة
ولا يعقلها قط ولا يفهم شيا منها فما احق من كان هكذا حاله بالسكوت
والاعتراف بالقصور والوقوف حيث اوقفه الله والتمسك في الجواب اذا سئل
عن ذلك بقوله لا ادري فان كان ولا بد متكلما ومادحا او قادحا فلا يكون متكلما
بالجهل وعايبا لما لا يفهمه بل يقدم بين يدي ذلك الاشتغال بذلك الفن حتى يعرفه
حق المعرفة ثم يقول بعد ذلك ما شاء ولقد وجدنا كثيرا من العلوم التي ليست
من علم الشرع نفعا عظيما وفايدة جليلة في دفع المبطلين والمتعصبين واهل
الراي الجنف ومن لا اشتغال له فانه اذا اشتغل من يشتغل منهم من الفنون
كالمشتغلين بعلم المنطق جعلوا كلامهم ومذاكراتهم في قواعد فنهم ويعتقدون
لعدم اهلية اشتغالهم بغيره ان من لا يجاريهم في مباحثة ليس من اهل العلم ولا هو
معدود منهم وان كان بالمحل العالي من علوم الشرع فحينئذ لا يبالون بمقاله ويورد
عليه ما لا يدري ما هو ويسخرون منه فيكون في ذلك من المهانة على علماء الشريعة
ما لا يقادر قدره واما اذا كان العالم المتشرع المتصدر للهداية الى المسالك
الشرعية والمناهج الاصافية عالما بذلك فانه يجري معهم في فنهم فيكبر في عيونهم
ثم يعطف عليهم فيبين لهم بطلان ما يعتقدونه بمسلك من المسالك التي يعرفونها
فان ذلك لا يصعب على مثله ثم بعد ذلك يوضح لهم ادلة الشرع فيقبلون منه
احسن قبول ويقتدون به ايما قدوة واما العالم الذي لا يعرف ما يقولون
فغاية ما يجري بينه وبينهم خصام وسباب ومشاتمة هو يرمي بالاشتغال
بالعلوم الكفرية ولا يدري ما هي تلك العلوم وهم يرمونه بالبلادة وعدم الفهم
والجهل بعلم العقل ولا يدرون ما الذي منعه من علم الشرع ولقد شاهدت هذه الايام
ما لم يكن لنا في حساب من زعانف لهم سقط المتاع وقفعة القاع وابناء الرعاع
لا بسو طلبة العلم لبعض الملابسة وشاركوهم بجامع الخلطة والعشرة في

مثل النظر في مختصرات النحو حتى صار وامن يتمكن من اعراب اواخر الكلم طاحت
بهم الطوايح ورمت بهم الرواسي المطابعة تحريد الطوسي وبعض شروحه
وفهو بعض مباحثه فظنوا انهم قد ظفروا بما لم يظفر به ارسطاطاليس
ولا جالينوس دع مثل الكندي والفارابي وابن سينا فانهم عندهم في عداد
المقصرين واما مثل الرازي وطبقته فليسوا عندهم من اهل العلم في ورد
ولا اصدر واما ساير العلماء المتحرين في علم الشرع وغيره من اهل العصر
وغيرهم فهم عند هؤلاء النوكا الذين لا يفهمون شيأ ولا يعقلون
فقبح الله تلك الوجوه فانها صارت عارا وشنارا على اهل العلم وصار
دحولا مثل هؤلاء الذين دنسوا عرض العلم وجهموا وجهه واهانوا شرفه
من اعظم المصايب التي اصابت اهل العلم والكبر المحن التي امتحن بها حملته فانه
يسمع السامع يثلبون اعراض الاحياء والاموات من المشهورين بالعلم الذين
قد اشتهرت مصنفاتهم وانتشرت معارفهم فيزدهد في العلم ويخاف من ان
يعرض نفسه للوقيعة من مثل هؤلاء الجهلة على انهم لا يعرفون شيأ الا ما
ذكرت لك ولا يفهمون علما من العلوم لا بالكنه ولا بالوجه فما احق هؤلاء
بالمنع لهم عن مجالس العلم والاخذ على الديهم من الدخول في مداخل اهل العلم
والتشبه بهم في شيء من الامور والزامهم بملازمة حرف آبائهم وصناعاتهم
اهل هلع والوقوف في الاسواق لمباشرة الاعمال التي يباشرها سفلهم
فليس في مفارقهم قنهم لها الا مجبوة من الشر على العلم واهله ولكنهم
قد تحللوا وجعلوا انفسهم حصنا حصينا وسورا منيعا فتظهروا بشيء
من الرفض وتلبسوا بشيابه فاذا اراد من له غيرة على العلم المعاقبة لهم و
اعزاز دين الاسلام بانهاضهم قالوا العامة انهم اصيبوا بسبب التشيع
والهيئوا بما اختاروه لانفسهم من محبة اهل البيت رضي الله عنهم وقد علم الله
وكفى له فهم انهم ليسوا من ذلك في قبيل ولا دبير بل ليس عندهم الا التهاون
بالشريعة الاسلامية والتلاعب بالدين والطعن على الانبياء صلوات الله
عليهم وسلامه فضلا عن غيرهم المتمسكين بالشرع وكل عارف اذا سمع كلامهم
وتدبر احوالهم يتضوع له منها روايح الزندقة بل قد يقوى على ما هو صريح
الكفر الذي لا يبقى معه ريب ولقد كان القضاة من اهل المذاهب في البلاد
الشامية والمصرية والرومية والغربية وغيرها يحكمون باراقة دم من ظهر منه
دون ما يظهر من هؤلاء حسبما تحكيه كتب التاريخ وقد اصابوا اصاب الله
بهم فاعزاز دين الله هو في الانتقام من عداته المتقصين به وما يضع العالم في مثل
ارضنا هؤلاء

ارضنا هذه في مثل هؤلاء المخذولين فانه ان قام عليهم وافتى بما يستحقونه
وبوجبه عليهم الشرع حال بينه وبينهم حوائل منها عدم اعتنا دمثل هذه البلاد
لمثل سفك دماء المتزندقين ومنها عدم نفوذ اقدام المنتقدين لاحكام الشرع
حتى يعرفوا الدقايق الكفرية الموجبة للخروج من الاسلام القاضية بسفك
دم من صدرت عنه وكيف يفهم ذلك غالب القضاة وهم يعجزون عن فهم
شروط الوضوء وفرايضه وسننه بل يقصرون عن فهم مباحث ابواب قضاء
الحاجة فهل ترا هم يفهمون ما يقوله لهم المفتي بسفك دم المتزندق من انه كفر بكذا
استحق سفك دمه بكذا هيهات هيهات فانهم ابلد من ذلك واسوأ فهما من البليغ
اليه ومنها وهو اعظمها ما عرفت به من تظهرهم بالرفض والدعائهم انهم
لم اصابوا بذنب سواه ولا نالهم ما نالهم الا بسببه فان هذه الدعوى شريعة
النفاق تدخل الى اذهان غالب الناس وتقبلها عقولهم بايسر عمل للاشتراك في
الجنس وان لم يكن على التواطي بل على التشكيك وكفاك من شر سماعه وبعد
هذا فاني ارجو الله عز وجل ان يمكن منهم فتجر عليهم الاحكام الشرعية وينفذ
فيهم ما يقتضيه مر الحق وبض الدليل وقد علم الله سبحانه اني احل من
الحسرة والتلهف ما لا تقار قدرة ولا يمكن التعبير عنه لانه ليس بتفاوض عن
مبتدع ولا بمجرد سكوت عن انتهاك حرمة من حرمات الشرع بل هو سكوت عن
الكفر والمحاض عن متظهر بالزندقة يتكلم فيها بملء فيه ويبدي منها
ما تبكي له عيون الاسلام واهله قارة يتهاون بالقرآن وتارة يتهاون بالا
نبيا وتارة يتهاون بجملة الدين وحينا يزدري علماء المسلمين لكن بعبارات
لا يفهمها القصرون ورموز لا يهتدي اليها المشتغلون بابواب الفقه
مع خلط تلك العبارات بشيء من الرفض يفهمه المقصر والكامل فاذا نظره
المقصرون في كلامهم لم يفهموا منه الا ما فيه الرفض ولا يفهمون شيأ مما عداه
واذا احضرهم العالم مما شتمل عليه ذلك الكلام من الكفر والزندقة لم يقبله
افهامهم لامرين احدهما الجهل بالعلوم التي يتوصلون بها الى فهم ذلك
الثاني اعتقادهم ان ذلك المتكلم شيعي وان هذا العالم الذي انكره انما قام
عليه لاجل تشيعه لكونهم يعتقدون في كل من اشتغل بعلوم الاجتهاد
انه نحا نحو الشيعة طبيعة راسخة فيهم وامر ورثوه عن اسلافهم وداء قبلوه
عن كابر عن كابر ومحنة نعاظم بسببها البلا على الشريعة وعلى اهلها فهذه
الاسباب علمت ان قياعي عليهم لا يجدي الا ثوران فتنة وظهور محنة و
قد يكون سببا لتظهرهم بزيادة على ما يتظهرون به من تلك الامور الفضيعة
والكفريات الشنيعة اللهم اني اشهدك وانت خير الشاهدين اني اوا حاكم

يسفك دماء من صدر منه ذلك وإن وقعت بقتل من فعل شيأ منه أو قال به عند الجهل
بارقة من بوارق العدل وفي أخفى رائحة من روائح الانصاف **ولست أقول** ان
جميع من أشرت اليهم على الصفة التي ذكرتها الموجبة لإراقة الدم وازهاق
الروح بل يتطهر بذلك بعض متخذوليهم ويستعمل به اناس من شياطينهم
والبقية وان كانوا مما يصد منهم نقمة على العلم وأهله فانهم يغفرون الناس
عن علم الشرع ويهونونه في صدورهم ويستصغرون علوم الدين باسرها و
يجذبون من يطمعون فيه الى جهالاتهم وضلالاتهم فهم مستحقون للحيلولة
بينهم وبين كل سبب يتوصلون به الى العلم على كل تقدير كما اشرنا اليه سابقا
مع ان البعض ما فيه اهانة لهم بهم ومسهم بسوط عذاب ادلال لكن في ذلك
اعذار للدين ورفع لمنارة وغسل لما قد لحق نوابه اهله من العذر الذي
يلقونه عليهم ويتجسسونهم به والله المرجو فعنده الخير كله وهو اغير
على دينه وهو اكرم عليه من ان يهان او يضام اهله وفيهم افراد قليلون
يصلحون بتعلم العلم ويتشبهون باهله ويجرون على نمط من يتعلمون منه
ويأخذ وناعنه ان خيرا فخير وان شرا فشر ولكن ما قل من يكون هكذا
منهم **فان قلت** وما هذه الاهلية التي يكون صاحبها محلا لوضع العلم
فيه وتعليمه اياه **قلت** هي شرف المحتد او مرح النجار وظهور
الحسب او كون في سلف الطالب من له تعلق بالعلم والصلاح ومعالم الدين
او معالي الامور وقبح الريب وقد اشار الى هذا النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث
الثابت في الصحيح فقال الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم
في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا فاعتبر صلى الله عليه وسلم الخيار في الجاهلية
وليس ذلك لامر يتعلق بالدين فانه لا دين لاهل الجاهلية بل المراد
بخيار اهل الجاهلية من كان منهم من اهل الشرف وفي البيوتات الرفيعة
فان هذا امر يجذب بطبعه الى معالي الامور وهو محبوب اليه وبين الرجل
ويوجب عليه اذا دخل في امر ان لا منه في اعلا محل وارفع رتبة فيتعلم
العلم منهم من يكون في رتبة اهله على اتم وصف واحسن حال غير شائن
بانفه ولا مثلم بما خصله ولا مسترفع على الناس بما نال منه **واما من**
كان من سقط المتاع وسفساف اهل المهن كاهل الحياكة والحجامة
والقصابة ونحو ذلك من المهن الدنية والحرف الوضيعة فان نفسه لا تفاق
الدناءة ولا تجانب السقوط ولا تابى المهانة ولا تنفر عن الضيم **فاذا**
اشتغل مثلهم بطلب العلم ونال منه بعض النيل وقع في امور منها
العجب والزهو والخيلاء لانه يرى نفسه بعد ان كان في اوضع مكان واخس
رتبة

رتبة قاعدا في اعلا محل وارفع موضع فان منزلة العلم واهله المنزلة التي لا تساويها
منزلة وان علت ولا تساوي رتبة وان ارتفعت **فبينما ذلك** الطالب قاعد بين
اهل حرفته من اهل الكيا الحياكة والحجامة او الجزارة او نحوهم في اخس بقعة واعظم
مهانة **اذ صار بين العلماء** والمتعلمين الذين هم في اعلا منار الدنيا والدين فيجد
ذلك يحصل له من العجب والتطاول على الناس والترفع عليهم ما يعظم به الضرر على
اهل العلم فضلا عن غيرهم ممن هو دونهم مع ما ينضم الى ذلك من السخف الذي نشأ
عليه وتلقاه من سلفه وسقوط النفس وضعف العقل ونزالة الهمة ومثل ذلك اثر
الصبي لما ينشأ عليه من اخلاق آبائه لا ينكره احد ولهذا يقول صلى الله عليه وسلم فيما صح عنه
في الصحيح كل مولود يولد على الفطرة ولكن ابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه
فاذا كان الصغير يتطبع بطباع الكفر بسبب ابويه فما بالك بسائر الاخلاق التي يجد
لها عليها **ومما يقع فيه هذا الطالب** الناشي بين اهل الوضاعة المرتضع
من ثدي الرفاعة انه يحلم الطبع والف المنشا لا يرى في الناس الا اهل حرفته وبقي
مهنته فيعود من حيث بدا او يرجع من الباب الذي خرج منه فيكون في ذلك من
المهانة للعلم والازرى على اهله والوضع بجانبهم ما لا يقادر قدره لان هذا ايراه
الناس تارة في المدارس قاعدا بين ايدي شيوخ العلم مشاركا للمتعلمين و
تارة يرونه في دكاكين الحجامين وحوانيت العصارين ومن جرى هذا المجرى
من المحترفين **ومما يقع فيه** انه يحلم الطبع الذي استفاد من المنشاء و
تطبع به من ابويه ومن يماثلهما وان دخل في مداخل العلم وتزيا بزي
اهله فهم البعض الناس اليه واحقرهم لديه لا يقيم لهم وزنا ولا يعترف لهم بفضيلة
بل يكونون عنده وهجيراه ومغنى كلامه وفحواه هو اشاهاون بهم وتحقيرهم
ما عظم الله من امرهم والاغراء بين اهلهم والتعرض للمفاضلة بين فضلائهم
واذا خال اشجانا بينهم بكل ممكن ومن انكر هذا فعليه بالاستقراء والتتبع
فانه سيجد ما وجدناه ويقف على صحة ما حكيناه ولا يخرج من هؤلاء الا
النادر القليل ولا يكون ذلك الا لعرق ينزعه الى الشرف ويجذبه الى الخير
في سلفه القديم وان جهله من لم يعرفه **وبالجملة** فهذا ما تقيده التجربة
وتشير اليه بعض الادلة الشرعية واذا صح قوله صلى الله عليه وسلم العلم في غير اهله
كمقلد الخنازير الجوهر ففيه اعظم عبرة للمعتبرين من الحاملين لعلوم
الدين وقد عد الى بعض اهل العلم الى ابن ماجه ولا استحضره حال الرقم
فيما هو من حفظي من احاديث سنن ابن ماجه فلينظر ثم كشفت عنه فوجدته
في سنن ابن ماجه عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة
على كل مسلم وواضع العلم عند غير اهله كمقلد الخنازير الجوهر واللؤلؤ والذهب

١ يكونوا

٢ يعني الذين يعصرون الزيت من السمسم

واضعوم

وفي اسناده حفص بن سليمان البزار وفيه مقال **واما من كان اهل العلم للعلم** وفي
مكان من الشرف فانه يزداد بالعلم شرفا الى شرفه ويكتسب به من حسن السمت
وجميل التواضع ولابق الوقار وبديع الاخلاق ما يزيد علمه علوا وعرفانه
تعظيما فيتخلق باخلاق الانبيا ومن مشى على طريقهم من عاملي العلما وصالحي
الامة ويعترف للعلم حقه ويعظمه بما ينبغي من تعظيمه فلا يكدره بالمطامع
ولا يشوبه بالخضوع لاهل الدنيا ولا يجهله بالتوصل به الى ما في يد الاغنيا
فيكون عنده مخدوما لا خادما ومقصودا لا قاصدا **وبيان** هاتين
الطائفتين طائفة ثالثة ليست من هؤلاء ولا من هؤلاء جعلوا العلم
مكسبا من مكاسب الدنيا ومعيشة من معايش اهله لا غرض لهم فيه الا
ادراك منصب من مناصب السلاطين ونيل رياسة من الرياسات التي كانت
لهم كما نشاهده في غالب البيوت المشهورة بالقضا والافتا والخطابة و
الكتابة او ما هو شبيه بهذه الامور فان من كان طالبا للوصول الى شئ من
هذه الامور ذهب الى مدارس العلم يتعلم ما يتأهل به الى ما يطلبه وهو
لا يتصور البلوغ الى ثمرة المستفادة من العلم والفائدة الحاصلة لطالبه
فيكون ذهنه كليلا وفهمه عليلا ونفسه خائرة ونيته خاسرة بل غاية
تصوره ومعظم فكرته في اقتناص المنصب والوصول اليه فيخدم في
مدة طلبه واشتغاله اهل المناصب ومن يرجو منهم الاعانة على بلوغ
مراده الكثير مما يخدم العلم ويتردد الى ابوابهم ويتعتر في مجالسهم ويذ
وق به من الاهانة ما فيه العظم مرارة ويتجرع من الغصص ما يصغر قدر
الدنيا بالنسبة اليه فاذا نال ذلك المنصب ضرب بالدفاتر وجه الحايط و
القاها خلف الستور لعدم الباعث عليها من جهة نفسه والمنشط على
العلم والمرغب فيه **فهذا هو شبيه** بمن يتعلم مهنة من المهن ويتدرب
في حرفة من الحرف فيقصد اهلها حتى يدركها ويكون منها استاذا
ثم يذهب الى دكان من الدكاكين فيعتاش بتلك الحرفة وليس هو
من اهل العلم في ورد ولا صدر ولا ينبغي ان يكون معدودا منهم وان
ارتسم في ذلك منه رسوم فهو من ازهد الناس فيها واجفاهم لها و
اقلهم اعتنا بها ولا فائدة في تعلمه راجعة الى الدين فقط على غاية
ما استفاده منه العلم واهله تعريضه وتعريضهم للاهانة عند اهل
الدنيا وايقاعهم وايقاعه في يد من لا يعرف للعلم قدرا ولا يرفع له ذكرا
ولا يقيم له وزنا كما نشاهد من المتعلقين بالاعمال الدولية فانهم يتلاعبون

بطلبة

لعله هنه

الادب حتى تتبدل الفقاهة الصورية واما الفقاهة الحقيقية فلا يتصف
بها الا المجتهد بلا خلاف بين المحققين **واذا قد عرفت ما ينبغي لكل**
طبقة من تلك الطبقات من المعارف العلمية فلنكمل لك الفايدة بذكر
مباحث ينتفع بها طالب الحق ومريد الانصاف انتفاعا عاما ويرتقي بها
الى مكان يستغني به عن كثير من الجزئيات **فمنها ان تعلم** ان هذه الشريعة
المطهرة السهلة السمحة مبنية على جلب المصالح ودفع المفاسد ومن تتبع
الوقايع الكاينة من الانبيا والقصص المحكية في كتب الله المنزلة على
ذلك علما لا يشوبه شك ولا يخالطه شبهة وقد وقع ذلك من نبينا صلى الله
وقوعا لا ينكره من له ادنى علم بالشريعة المطهرة فانه صلى الله عليه وسلم علم بتبين له
نفاق بعض المنافقين واستحقاقه للقتل بحكم الشرع قال الا تحدث الناس
بان محمدا يقتل اصحابه فترك قتله لجلب مصلحة هي اتم نفعا للاسلام واكثر
عايدة على اهله ودفع مفسدة هي اعظم من دفع المفسدة الكاينة بترك
قتله **وبيان ذلك انه** اذا تحدث الناس بمثل هذا الحديث وشاع بينهم
شيوعا لا يتبين عنده السبب كان ذلك من اعظم المنفرات لاهل الشرك
عن الدخول في الدين لانه يصك اسماعهم ذلك الحديث فيظنون عند ان
ما يعتقدونه من السلامة من القتل بالدخول في الاسلام عهد صحيح فيهرعون
منه هرعا شديدا ويبعدون عنه بعدا عظيما **وهكذا وقع منه صلى الله عليه وسلم** اتا
سير لجماعة ممن لم تثبت قدمه في الاسلام بغنائم حنين كالاقرع بن حابس وعيينة بن حصن فكان يعطي الواحد من هؤلاء
وامثالهم المائة من الابل وما يقوم مقامها من ذلك والمهاجرون والانصار الذين
هم المقاتلة المستحقون للغنيمة ينظرون الى ذلك التاثير ووقع في
انفسهم ما وقع حتى قال قايلهم يرحم الله رسول الله يعطي هؤلاء و
سيوفنا تقطر من الدما فلما علموا مراده النبي صلى الله عليه وسلم من المصلحة العا
ئدة على الاسلام واهله بتاليف مثل هؤلاء من تاثيرهم بالغنيمة قبلوه
اتم قبول وطابت انفسهم الجملة طيبة **وهكذا ووقع** منه صلى الله عليه وسلم
العزم على مصالحة الاحزاب بثلث ثمار المدينة ظنا منه بان في
ذلك جلب مصلحة ودفع مفسدة فلما تبين له ان الشر اجلب للمصلحة
ودفع للمفسدة صار اليه **وهكذا وقع منه صلى الله عليه وسلم** النهي عن تلقيح
النخل فلما تبين له ما في ذلك من المصلحة لاهله اذن لهم به **وهكذا** وقع
منه الاذن بالعدا بالجماء شكى عليه الفقراء ما يلحقهم من المفسدة بالمنع

من شراء الرطب بالتمر مع عظم الخطر فيما هو مظنة للربى ولم يعدها العلماء من هذه الامور وبالجملة فكل ما يقع من النسخ والتخصيص والتقييد في هذه الشريعة المطهرة فسببه جلب المصالح ودفع المفاسد فان كل عالم يعلم ان نسخ الحكم بحكم اخر يخالفه لم يكن الا لما في النسخ من جلب مصلحة او دفع مفسدة زائدة على ما في الاول من النفع والدفع وهكذا اخراج ما يتناوله العام بالتخصيص او ما يصح اطلاق المطلق عليه بالتقييد كما وقع في قوله تعالى غير اولي الضرر وقوله عز وجل من الفجر ونحو ذلك كثير جدا وقد كان دينه صلى الله عليه وسلم وهجيراه الارشاد الى التيسير دون التعسير والى التبشير دون التنفير فكان يقول يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا وكان صلى الله عليه وسلم يرشد الى الالفة واجتماع الامر وينفر عن الفرقة والاختلاف لما في الالفة والاجتماع من الجلب للمصالح والدفع للمفاسد وفي الفرقة والاختلاف من عكس ذلك فالعالم المرتاض بعاجاتنا عن الشارع الذي بعثه الله تعالى متمما لمكارم الاخلاق اذا اخذ نفسه في تعليم العباد وارشادهم الى الحق وجذبهم عن الباطل ودفعهم عن البدع والاخذ بحجزهم عن كل منزلقة بنا لمزالق ومدحضة من المداحض بالاخلاق النبوية المصطفوية الواردة في الكتاب العزيز والسنة المطهرة فيسر ولم يعسر وبشر ولم ينفر وارشد الى ائتلاف القلوب واجتماعها ونهى عن التفرق والاختلاف وجعل غايته همه واقصى رغبته جلب المصالح الدينية للعباد ودفع المفاسد عنهم كان من انفع دعاة المسلمين وانجع الحاملين لحزب العالمين وانجذبت له القلوب ومالت اليه الانفس وتذللت له الصعب وتسهل عليه الوعر والقلب اليه المتعصب منصفا والمبتدع متسننا ورغب في الخير من لم يكن يرغب فيه ومال الى الكتاب والسنة من كان يعيل عنهما وتردى باثواب الروائع من كان مجلببا بالرأي ومشى في رياض الاجتهاد واقتطف من طيب ثمراته واستنشق من عاطر ريا حينه من كان معتقلا في سجن التقليد مكبلا بالقيل والقال مكتوفا بآراء الرجال فان قلت ما ذكرته من اثناء الشريعة المطهرة على جلب المصالح ودفع المفاسد ما اثر يد به هل يلاحظ ذلك النفع والدفع بطلقا او في حالة من الحالات قلت لا يرد بما قدمته الا ان مالم يرد فيه نص بخصه ولا اشتمل عليه عموم ولا تناوله اطلاق فحق على العالم المرشد للعباد الطالب للحق ان يستحضر ذلك ويرشد اليه ويهتم به ويدعو اليه واما مواقع النصوص وموارد ادلة الكتاب والسنة وموطن قيام الحجج فلا جلب لنفع ولا دفع ضرا ولا من ذلك واقرب منه الى الخير واولى منه بالتبرئة فهو في الحقيقة تصالح محلوبة ومفاسد مدفوعة وان قصرت بعض العقول عن ادراك ذلك والاحاطة بكنهه والوقوف على حقيقته فمن قصورها اتيت ومن ضعف ادراكها دهيت ومن تدبر ذلك كل التدبير وتمثله

يا ملة حق التأمل لم يخف عليه فان كل جزئ من جزئيات الشريعة التي قام الدليل على طلبه والتعبد به للكل او البعض مطلقا او مقيدا لابد ان يشتمل على جلب مصلحة او مصالح عرفها من عرفها وجهلها من جهلها وكل جزئ من جزئيات الشريعة الوارد بالنهي عن امر او امور لابد ان يكون المنهي عنه مشتملا على مفسدة او مفاسد تندفع بالنهي عنها ولمزيد الشرح وكثرة التدبر في ذلك مدخل جليل لا سيما مع استحضار الاستعانة بالله والتوكل عليه والتفويض اليه وما يستعين به طالبا الحق ومريد الانصاف على ما يريده من ربط المسائل بالادلة والخروج من اراء الرجال المتلاعبة باهلها من يمين الشمال ان يتدبر الدلائل العامة ويتفكر فيما يندرج تحتها من المسائل بوجه من وجوه الدلالة المعتبرة فانه اذا تمرن في ذلك وتدرب صار مستحضرا للدليل كل ما يسال عنه من الاحكام الشرعية كائنا ما كان وعرف معنى قوله عز وجل ما فرطنا في الكتاب من شئ ومن امعن النظر فيما وقع منه صلى الله عليه وسلم من استخراج الاحكام الشرعية من كتاب الله زاده ذلك بصيرة كما ثبت عنه انه لما سئل عن الحمر الاهلية فقال ما اجد فيها الا هذه الاية الفاذة من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فان في هذا ومثاله اعظم عبرة للمعتبرين واجل بصيرة للمتبصرين واوضح قدوة للمقتدين من العلماء المجتهدين وثبت انه صلى الله عليه وسلم قال لعمرو بن العاص صليت يا صاحبك وانت جنب يا عمرو فقال سمعت الله يقول ولا تقتلوا انفسكم فتمرة النبي صلى الله عليه وسلم وضحكه ولم يقل شيئا وهذا باب واسع يطول تعداده وهكذا التمثل في الكلمات الصادرة عمن اعطي جوامع الكلم وافصح من نطق بالضاد قوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات فان هذا اللفظ الموجز والعبارة المختصرة صالحة للاستدلال بها على كل جزئي من جزئيات الشرع فيدخل ما حصلت فيه النية في اعداد الاعمال المقبولة ويخرج ما لم تحصل فيه النية الى حيز الاعمال المردودة وتصير بها المباحات قربات وعبادات اقل احوالها الاندراج تحت حقايق المندوبات ويبطل كثير من الصور الحاكية عما هو من العادات بفقد النية وعدم وجودها او وجودها لا على الوجه المعتبر وكقوله صلى الله عليه وسلم كل بدعة ضلالة ومن غشنا فليس منا والحلال بين والحرام بين وكل امر ليس عليه امرنا فهو رد فان كل فرد من افراد هذه العبارات وامثالها صالحة لجعلها قضية كبرى للشكل الاول فلا يبقى فرد من الافراد الا وامكن ادراجه تحت هذه الكلية باجتلاب قضية صغرى سهلة الحصول نقول مثلا هذا امر ليس عليه امرنا النبي صلى الله عليه وسلم وكل امر ليس عليه امره مردود فهذا رد فلا يبقى فعل ولا قول ولا اعتقاد يات به الشرع الا وامكن الاستدلال على رده بهذا الحديث الصحيح وهكذا العمل في سائر الكليات والمتكفل بالمعارف العلمية يستغني بمجرد الاشارة والايماض لان المواد قد حصلت له بما حصله من العلوم ومارسه من المعارف فربما يغفل عن اخراج ما في القوة

الى الفعل فاذا نبه وكان العمل عليه سهلا والانتفاع في العلوم يسيرا **ومن جملة ما ينبغي له تصوره** ويعينه استحضاره ان يعلم ان هذه الشريعة المباركة هي ما اشتمل عليه الكتاب والسنة من الاوامر والنواهي والترغيبات والتفسيرات وسائر ما له مدخل في التكليف **من غير قصد الى التعمية والالغاز** والارادة لغير ما يفيده الظاهر ويدل عليه التركيب ويفهمه اهل اللسان العربي فمن زعم ان حرفا من حروف الكتاب والسنة لا يراد به المعنى الحقيقي والمدلول الاوضح فقد زعم على الله ورسوله زعما يخالف اللفظ الذي جاءا به فهما فان كان ذلك لموجب شرعي يتوقف عليه الصحة الشرعية او العقلية التي يتفقا العقلا عليها لا مجرد ما يدعيه اهل المذاهب والنحل على العقل مطابقا لما قد حببه اليهم التعصب وادناه من عقولهم البعد عن الانصاف فلا بأس بذلك والا فدعوى التجوز مردودة مضروب بها في وجه صاحبها **فاعترض على هذا** فانه وان وقع الاتفاق على اصالة المعنى الحقيقي وعدم جواز الانتقال عنه الا لعلاقة وقرينة كما صرح به في الاصول وغيرها فانا نعلم في كتب التفسير والحديث والفقه بخلاف هذا لمن تدبره واعمل فكره ولم يغتر بالظواهر ولا جمد على قبول ما يقال من دون بحث عن مواردة ومصادره وكثيرا ما نجد المتعصبين **يحامون عن مذاهبهم** ويؤثرونها على نصوص الكتاب والسنة **فاذا جاءهم نص** لا يجدون عنه متحولا واعياهم رده واعجزهم دفعا رادعوا نه مجاز وذكروا للتجوز علاقة هي من البعد بمكان ومرتبة ليس لها في ذلك المقام وجود ولا ندعوا اليها حاجة واعانهم على هذه الترهات استكثارهم من تعداد انواع القرائن والعلاقات حتى جعلوه من جملة ما هو من العلاقات المسوغة للتجوز التضاد **فانظر هذا التلاعب** وتدبر هذه الابواب التي فتحوها على ادلة الكتاب والسنة وقبلها عنهم من لم يمعن النظر ويطيل التدبر فجعلها علما وقبلها على كتاب الله وسنة رسوله **واصلها دعوى** افتراها على اهل اللغة متعصب قد انتدب مذهبه على الكتاب والسنة ولم يستطع التصريح بترجيح المذهب على الدليل فدق الفكر واعمق النظر عنادا لله تعالى وبغيا على شريعته وخداعا لعباده **فقال هذا الدليل وان كان معناه الحقيقي يخالف ما نذهب اليه** فهو هنا مجاز والعلاقة كذا والقرينة كذا ولا علاقة ولا قرينة فيا ترى بعد عصر هذا المتعصب من لا يبحث عن المقاصد ولا يتدبر المسالك كما ينبغي فيجعل تلك العلاقة التي افتراها ذلك المتعصب من جملة العلائق المسوغة للتجوز **وبهذا صارت العلاقات قريبا من ثلاثين** علاقة ثم لما كان من جملة انواع القرائن العقلية العرفية افتراء كل متعصب على العقل والعرف ما شاء وضع في مواطن الخلاف ما اراد والله المستعان

والله المستعان **ومن جملة ما يشعرك به على الحق ويأمن معه من الدخول في الباطل** وهو لا يشعر ان يقرر عند نفسه ان هذه الشريعة لما كانت من عند عالم الغيب والشهادة الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ويعلم ما تكن الصدور وتخفيه الضمائر ويحول بين المرء وقلبه كانت المخادعة بالحيل الباطلة والتخلص مما طلبته بالوسائل الفاسدة من اعظم المعاصي له وافبح التجاري عليه وجميع هذه الحيل التي دونها اهل الرأي هي ضد لما شرعه وعناد له ومراوغة لاحكامه ومجادلة باطلة لما جاء في كتابه وسنة رسوله ومن تفكر في الامر كما ينبغي وتدبره كما يجب اقشعر له جلده ووقف عنده شعره فان هذا الذي وضع للعباد هذه الحيل كانه يقول لهم هذا الحكم الذي اوجبه الله عليكم او حرمه قد وجدت لكم عنه مخلصا ومنه متحولا ايذهني الدقيق وفكري العميق لهذا كذا وكذا فهذا المخذول قد بلغ من التجري على الله مبلغا يتقاصر عنه الوصف لانه ذهب يعاند الله ويضاد ما تعبد نابه بمجرد رايه الفايل وتخيله الباطل مقرا على نفسه بقبيح صنعه وانه جاء بما يريح العباد من الحكم الشرعي فان كان مع هذا معتقدا ان ذلك التحيل الذي جاء به يحلل الحرام ويحرم الحلال فهو مع كذبه على الله وافترائه على شريعته قد ضم الى ذلك ما يستلزم انه يدعي لنفسه انه يشرع للعباد من عند نفسه غير ما شرعه لهم وذلك لا يكون الا لله سبحانه فان كان هذا المخذول يدعي لنفسه الالوهية مع الله فليسلك من شرعه وان كان لا يدعي لنفسه ذلك فيقال له ما بالك تصنع هذا الصنع واي امر الجأك اليه واوقعك فيه فان قال رأيت الله قد صنع مثل هذا في قصة الوهب وصنعه رسول الله في المريض الذي زنى فيقال ما انت وهذا لكثرة ما في اهل العلم من اشكالك ومن انت حتى تجعل لنفسك ما جعله الله لنفسه فلو كان هذا الامر الفضيع سائغا لاحد من عباد الله لكان لهم ان يشرعوا كما شرع وينسخ من احكام الدين ما شاؤا كما نسخ ثم اي جامع بين هذا وبين ما شرعه الله من ذلك فانه مجرد خروج من ماء غم وتحلل من يمين قد شرع الله فيها ان ماتي الذي هو خير كما تواترت بذلك الاحاديث الصحيحة حتى ثبت في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حلف على ذلك فقال والله لا احلف على شيء فارا غيره خيرا منه الا اتيت الذي هو خير ولفرت عن يميني فاين هذا مما يفتعله اسراء التقليد من الكذب على الله وعلى شريعته وعلى عباده اما الكذب على الله فلكونهم زعموا عليه انه اذن لهم به وسوغه لهم وهو كذب بحت وزور محض وان كانوا لا يعتقدون ذلك بل جعلوه من عند انفسهم جرأة وعنادا ومكرا وخداعا فالامر اشد والقضية اعظم واما كذبهم على الشريعة فلكونهم جعلوا ما نصبوه من الحيل المعونة والذرايع الشيطانية والوسايل الطاغوتية من جملة الشريعة ومن مسائلها ودونوه في كتب العبادات والمعاملات **وما** اشبه هذا عا كان يصنعه رأسا الجاهلية لاهلها من التلاعب بهم كما يتلاعب الصبيان والمجانين وكما صنعه المجان ولهل الدعابة فان تحريم البحيرة

والسائبة والوصلة والحامي وكذلك ما كانوا يفعلونه من النسي وما كانوا عليه من الميسر
والانصاب والازلام وما كانوا يعتمدونه مع من يطوف بالبيت الحرام من تلك الا
فعال التي هي اشبه بافعال المجانين كالتعري وما يشاكله لا مقصد لرؤساء الجاهلية
بهذه الامور التي كانوا يفعلونها ويامرون العباد بها الا مجرد ارتفاع الذكر واظهار
اقتدارهم على تنفيذ ما يريدونه وقبول الناس لما يامرونهم به وان كانت امور منكرة
وبلايا متعددة واعمالا شاقة فتدبر هذا وتامل لتكون على حذر من نفاق ما
جاءوا به من الحيل الباطلة عند كل والكنت كالبهيمة التي لا تمنع ظهرها من راكب ولا
تستعصي على مستعمل وقد دلت ادلة الكتاب والسنة على هذا وكفاك بما قصه الله
علينا من حيلة اهل السبت وقد اورد البخاري في صحيحه ما يشفي ويكفي ولبعض
المتاخرين في هذا مصنف حافل استوعب فيه جميع الادلة وهي معلومة لعلماء
الكتاب والسنة ولكنا اقتصرنا ههنا على بيان الاسباب التي نشا عنها الحيل ولفا
سد نشا ئر عنها ليكون ذلك ادفع للمنصف واوقع في نفسه كما هو دابنا في هذا
المختصر فانا نشير الى القضية التي ينبغي اجتنابها بكلمات لا تنبو عنها مسامع
المنصفين ولا تنكرها قلوبهم ولا تبعد عنها افهامهم واذا حصل المقصود بالا
ختصار لم يبق للتطويل حاجة وقد ينفع القليل نفعا لا يبلغه الكثير على انا لم
نكن نصدد نشر الادلة وايراد الفاظها فانها معروفة مدونة بل نحن بصدد
الارشاد الى الانصاف بعبارات تشتمل على معان قد تجمعت عن كثير من الاذهان
وتبعد عن غالب الافهام ومن جملة ما ينبغي له استحضاره ان لا يغتر
بمجرد الاسم دون النظر في معاني المسميات وحقائقها فقد يسمي الشرع
باسم شرعي وطور ليس من الشرع في شيء وهو طاغوت يجب رده وذلك كما يقع في بعض
من نزعه عرق الجاهلية من عدم توريث الاناث فانهم يخرجون
اموالهم او اكثرها او احسنها الى الذكور من اولادهم بصورة الهبة او النذر او الو
صية او الوقف فياتي من لا يبحث عن الحقايق فيغتر بذلك منزلة التقصير في الشريعة
اغترارا منه بان الشرع سوغ للناس الهبة والنذر والوصية غير ملتفت الى
ان هذا لم يكن له من ذلك الا مجرد الاسم احدثه فاعله ولا اعتبار بالاسماء بل
الاعتبار في المسميات فالهبة الشرعية هي التي ارشد اليها النبي صلى الله عليه وسلم لما
سئله بشير والد النعمان عن تخصيص ولده النعمان بشيء من ماله وطلب
منه ان يشهد على ذلك فقال الا شهد على جور ووقع منه الامر بالتسوية بين
الاولاد وهو حديث صحيح له طرق متعددة فالهبة المشتملة على التفضيل
المخالف لفرائض الله ليست بهبة شرعية بل هي جور مضاد لما شرعه الله فا
طلاق

اطلاق اسم الهبة عليها مخادعة لله ولعباده فلا ينفذ من ذلك شيء بل هو باطل مردود
لكونه ليس على امر النبي صلى الله عليه وسلم وهكذا من خصص بعض ورثته بنذر مخالف لما شرعه
الله من الفرايض فهذا ليس هو النذر الذي شرعه الله بل نذر طاعوتي فان النذر
الذي شرعه سبحانه هو الذي يقول فيه النبي صلى الله عليه وسلم النذر ما ابتغي به وجه الله و
يقول الا نذر في معصية الله كما هو ثابت في الصحيح وهذا الذي اخرج بعض ماله
نذرا لم يبتغ به وجه الله ولا طاعته بل ابتغى به وجه الشيطان الذي وسوس له
بان يخالف الشرع واطاعه بمعصية الله الله وهكذا من اخرج بعض ماله على تلك الصفة
لوصية فان هذه الوصية المتضمنة للمفاضلة بين الورثة ليست الوصية التي شرعها
الله لعباده بل وصية طاغوتية فان الوصية الشرعية هي التي يقول فيها النبي
صلى الله عليه وسلم ان الله اعطى كل ذي حق حقه ولا وصية لوارث ويقول فيها الرب تبارك وتعالى من
بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار ويقول فيها لمن خاف من موص جنفا او اثما فاصلح
بينهم فلا اثم عليه والمراد بالاصلاح ابطال ما جاء به من الفساد في وصيته وقد ورد
عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الضرار في الوصية من اسباب النار وانه يحبط عبادة العمر
كما اخرج ذلك جماعة وصححه من صححه فمن جاءته من هذه الوصايا المشتملة على الضرار
بوجه من الوجوه فانفذها من الثلث مستدلا على ذلك بحديث الثلث و
الثلث كثير وبمثل ما ورد من سائر الايات والاحاديث الخاصة بالوصية على
الاطلاق فقد غلط غلطا بينا فان هذه الوصية التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم
الثلث والثلث كثير هي وصية قربة كما في القصة المشهورة الثابتة في الصحيحين
ان سعد بن ابي وقاص استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتصدق بجميع ماله فما زال
يناز له حتى قال له الثلث والثلث كثير وهكذا ما ورد من قوله صلى الله عليه وسلم
ان الله جعل لكم ثلث اموالكم في اخر اعماركم فانه قيده بقوله في اخر زيادة
في حسناتكم ولا يزيد في الحسنات الا ما كان قربة واما وصايا الضرار
المتضمنة لمخالفة ما شرعه الله فهي زيادة في السيات لا زيادة في الحسنات
فتبين لك ان هذه الوصية التي اذن الله بها النبي صلى الله عليه وسلم ليست وصية الضرار
فان تلك قد اخرجها الله من عموم مشروعية الوصية بقوله غير مضار واخرجها
النبي صلى الله عليه وسلم بما تقدم من الوعيد الشديد لمن يضار في وصيته وبمنع الوصية
للوارث حتى ثبت في بعض الروايات بلفظ لا يجوز وصية لوارث وقد اوضحته
في ابحاث متعددة من مصنفاتي وليس المراد ههنا الارشاد طالب الانصاف
الى عدم الاغترار بما يفعله المتلاعبون باحكام الشرع من تسمية امور يقصدون
عنهم من الطاعوت باسماء شرعية مخادعة باحكام الشرع لانفسهم وسنده
راجا ممن لا فهم عنده ولا بحث عن الحقايق وهذه الذريعة الشيطانية قد عمت

وطمث خصوصا اهل البادية فانه بقي في نفوسهم ما كانت عليه الجاهلية الاولى من عدم
توريث الاناث ولا من لا حظ له عندهم من الورثة وان كانوا ذكورا فاراد وا
الاقتدا بهم ولكنهم لما كانوا مخبوطين ابسوط الشر مقهورين بسيفه نضبوا هذه
الوسايل الملعونة فقالوا نذرنا وهبنا اوصينا وساعدهم على ذلك طايفة من
المقصرين الذين لا يعقلون الصواب ولا يفهمون ربط المسببات باسبابها
فحرروا لهم تحريرات على ابلغ ما يفيد النفوذ والصحة طمعا فيما يحلوا به من
الحطام الذي هو من اقبح الوقايع السحت فانما ياخذونه على ذلك هو حرام كما ثبت
عن الشارع من تحريم حلوان الكاهن واجر البغي وما ياخذه من يعلم كتاب العلم و
نحو ذلك من الامور ولا يشكل من يفهم الحجج الشرعية ان سبب تحريم ذلك هو كونه
على تحليل حرام او تحريم حلال وهذا الذي يكتب المكاتيب الطاغوتية
المتضمنة لمخالفة ما شرعه الله لعباده من المواريث وقد رقم لهم في كتابه
وقيده لبعدم الضرار هو اولا بتحريم ما ياخذه من اولئك وقد يقوم
شيطان من شياطين المقلدة ويحذو حذو من يحذو ولي المشتغلين بالراي
فيجادل عن هذه الوصايا والنذور والهبات ونحوها وينزلها منزلة
الوصايا والنذور والهبات الشرعية ويورد ما قاله من يقلده ممن يستعظم
الناس كلامه ويقتدون بمذهبه ويخيل لهم ما صرحه في هذه الاجوبة
ونحوها من مصنفاته غير متعقل للفرق بين هذه الطواغيت وبين تلك
الامور الشرعية ولا فاهم للمغايرة الكلية ولا متامل للاسباب التي
تصدر عنها تلك الامور وان اهل العلم باسرهم انما تكلموا في مصنفاتهم على
الامور الشرعية لا على الامور التي هذه سبيلها وان مجرد الاسم لا يحل الحرام
ولا يحرم الحلال كما لو سمي خمر الماء وماء الخمر فانه لو كان الحكم يدور على
التسمية لكان الخمر المسمى ماء حلالا ولكان الماء المسمى خمرا حراما وهذا
خرق للشرع وهتك للدين ومن اعتقد به فليس من النوع الانساني
بل من النوع البهيمي ولا ينبغي الكلام معه بل يقال له هذا الذي فيه النزاع
ليس هو ما تكلم عليه من تقلده وتقتدي به بل هو شيء اخر يضاده
ويخالفه لان اهل العلم انما يتكلمون على الامور الشرعية وهذا ليس بشرعي
بل طاغوتي فان فهم هذا استراح وان لم يفهمه ففي السكوت راحة من
تحمل كذب مخاطبة السفهاء ولقد وقعنا مع جماعة من مقصرة القضاة
والمفتين في هذه المسئلة في امور عظيمة وخطوب جسيمة وفتن كبيرة
لا يتسع المقام لبسطها والحق منصور والباطل مخذول ولله الحمد واعظم
ما يتمسكون به من التعزير على العوام والتشزير على الملوك ومن لقد على
القيام